شعريّة الإهداء في روايات واسيني الأعرج مملكة الفراشة أنموذجا .

The poetic of the dedication in the Wassenian novel: The novel of the " Mamlakat alfarasha" as a model.

د. عثماني بولرباح

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عمار ثليجي- الأغواط
bouotmani@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/12 تاريخ القبول: 2020/03/04

ملخص البحث:

ستنفتح مقاربتنا على عتبة استراتيجيّة مهمّة في معماريّة الرّواية الجديدة، وهي عتبة الإهداء حيث سنفحص في رواية **"مملكة الفراشة"** لواسيني الأعرج جملها الأولى التي استهلت بها ملفوظها الحكائيّ، ونسعى إلى تنميط أشكالها وتحديد وظائفها ودلالاتها المضمرة سيميائيّا، فالإهداء من أهم عتبات النص الموازي التي تحيط بالنص الأدبي خارجيّا، إذ يمثّل الفضاء السّردي الممهّد الذي يشكل المساحة الموصلة إلى بؤرة النّص، من هنا تأتي أهمية دراسة الاستهلال بوصفه المحرّك الفاعل الأول لعجلة النّص كله حتى تحول من مجرّد بنيَة جماليّة مشيرة وفاعلة في آن واحد إلى بنيَة قاعدية لها أساليب قادرة على تعميق الدور و تحفيز الأداء وإسهاما في توضيح هذه الأهميّة، سأنطلق من طرح الإشكاليات التالية :

- ما المقصود بالإهداء الرّوائي؟ وما خصوصيّاته على مستوى البنيَة والدّلالة والوظيفة في الرّواية الجديدة ؟
- هل يولي واسيني الأعرج اهتماما بهذه العتبة النصّية ؟ وهل امتاز طرح واسيني بنوع من الخصوصيّة انطلاقا من خصوصيّة الرّواية الجديدة ؟.

- ما الذي يميز إهداء الرّواية الجديدة عن الرّواية التقليدية ؟
- ما أهمية دراسة عتبة الإهداء داخل الخطاب الأدبي ؟وهل تضيف تلك الدراسة بعدا جديدا للدّلالات بصفة عامة؟

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج السيميائي من خلال البحث في العلامات الدلالة التي تقرها عتبة العنوان كوحدة نصية مصغرة تشير إلى ملامح المتن الروائي.

الكلمات المفتاحية :عتبة، الإهداء ، الرواية، مملكة الفراشة.

Abstract :

We will open our approach on the threshold of an important strategy in the architecture of the new novel, which is the threshold of the dedication, where we will examine the first sentence of the novel " Mamlakat Al Faracha" written by Wasini Al Araj, in which it began its spoken telling , and seek to develop its forms and define its functions and its meanings semantically implicit, since the dedication is among the most important parallel text thresholds surrounding the literary text, externally. It represents the paved narrative space that forms the surface leading to the text core.

Hence, the importance of the study of initiation as the first effective engine of the entire text wheel to transform it from just an esthetic structure, pointing out that it is effective at the same time to a basic structure that has techniques capable of deepening the role, stimulating performance and contributing to clarifying this importance, we will proceed from the following problems:

– What is novel dedication? What are its specificities at the level of structure, significance and function in the new novel?

- Is Wasini Al Araj giving importance to this text threshold? And did he confer to the novel "Mamlakat Al farac alfarasha hat" a text dedication? How was it shaped structurally and significantly ? .
- – has Wasini's suggestion been characterized by a kind of specificity based on the specificity of the new novel? What distinguishes the new narrative's dedication from the traditional narrative?
  What is the importance of studying the threshold of dedication within the literary discourse? Does that study add a new dimension to the semantics in general?
Key words: Threshold, dedication, novel. Mamlakat alfarasha.

1-الإهداء ... فضاء الرصد والتساؤل.

تولي السرديات عناية فائقة بما يعرف الآن داخل الاشتغال النقدي النصوص الموازية أو العتبات النّصية والتي تعدّ موقعا استراتيجيا للحفر، وفضاء حيويا

للتنقيب، كحقل معرفي مستق - له حدوده وضوابطه ومؤلفاته " تتعدد المصطلحات لكن الحقل المعرفي واحد "خطاب المقدمات ... عتبات النص ... النصوص المصاحبة...المكملات... النصوص الموازية... سياجات النص... المناص...إلخ. أسماء عديدة لحقل معرفي واحد يعنى بمجموع النصوص التي تحفر المتن وتحيط به من عناوين وأسماء المؤلفين والإهداءات والمقدمات والخواتم والفهارس والحواشي وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره." [1]

حيث يتمظهر النص الموازي كنسيج يحيط بالنص الرئيسي بواسطته نستطيع اقتحام أغوار النص ويقصد به "تلك العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن واحد، تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النصي، كبنية وبناء أن يشتغل وينتج دلاليته، والإقامة على الحدود وإشارة للعابر أمام الكتاب – النص ومصاحبة لمريد القراءة وإرشاد للمسالك"[2]، إن النص الموازي " بأنماطه المتعددة ووظائفه المختلفة هو كل نصية شعرية أو نثرية تكون فيها العلاقة، مهما كانت خفية أو ظاهرة، بعيدة أو قريبة بين نص أصلي هو المتن ونص آخر يقدم له أو يتخلله مثل العنوان المزيف والعنوان والمقدمة، والإهداء، والتنبيهات، والفاتحة، والملاحق والذيول، والخلاصة، والهوامش، والصور، والنقوش، وغيرها من توابع نص المتن والمتممات له مما ألحقه المؤلف أو الناشر أو الطابع داخل الكتاب أو خارجه مثل الشهادات والمحاورات والإعلانات وغيرها، سواء لبيان بواعث إبداعه وغاياته، أو لإرشاد القارئ وتوجيهه حتى يضمن له القراءة المنتجة"[3]. فالمناص في أبسط تعاريفه ، هو تلك المصاحبات اللفظية والأيقونية التي تصاحب ظهور النص/ المتن والتي تعمل على إضاءة جوانب خفية في النص/ المتن " فنادرا ما يظهر النص عاريا من عتبات لفظية أو بصرية مثل(اسم الكاتب، العنوان، العنوان الرئيسي، العنوان الفرعي، الإهداء، الاستهلال، صفحة الغلاف ...) ما يجعل من النص كتابا يقترح نفسه على قرائه أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذو حدود متماسكة، نقصد به هنا تلك العتبة بتعبير (بورخيس) البهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه "[4].

لم تحظَ العتبات باهتمام المشتغلين في الدراسات الأدبية والنقدية إلا عندما حاز النص حريته وتوسع مفهومه وأخذت الأنظار تعنى بجزئياته وتفاصيله حيث " لم تكن العتبات تثير الاهتمام قبل توسع مفهوم النص، ولم يتوسع إلا بعد أن تم الوعي والتقدم في التعرف على مختلف جزئياته وتفاصيله. ولقد أدى هذا إلى تبلور التفاعل النصي وتحقق الإمساك بمجمل العلاقات التي تصل النصوص بعضها البعض، والتي صارت تحتل حيزا هاما في الفكر النقدي المعاصر. كان التطور في فهم النص والتفاعل النصي مناسبة أعمق لتحقيق النظر إليه باعتباره فضاء، ومن ثم جاء الالتفات إلى عتباته " [5]، يندرج الاهتمام بعتبات النص "ضمن سياق نظري وتحليلي عام يعتني بإبراز ما للعتبات من وظيفة في فهم خصوصية النص وتحديد جانب أساسي من مقاصده الدلالية وهو اهتمام أضحى، في الوقت الراهن، مصدرا لصياغة أسئلة دقيقة، تعيد الاعتبار لهذه المحافل النصية المتنوعة الأنساق وقوفا عند ما يميزها ويعين طرائق اشتغالها "[6] وبانفتاح الدرس النقدي المعاصر على التفاصيل والجزئيات المتاخمة للنص الأصلي نتأكد أن النص من السعة بحيث لا تستنفذه قراءة واحدة. فكل تركيب لساني يسلمنا إلى آخر غيره، وكل عتبة فيه تسلمنا إلى أخرى غيرها، فنلفي أنفسنا حينها أمام سؤال المعنى و سؤال العتبات "الأمر الذي من شأنه الارتقاء بالفكر النقدي حول النصوص الأدبية، ومن ثم تعدد مستويات المعرفة، وتنوع المجالات في دراسة النصوص الأدبية "[7].

نما مشروع العتبات بقوة ضمن المشروع النقدي الكبير ووجد تقبلا إجرائيا واسعا في الساحة النقدية الغربية ومن ثم العربية، خاصة حينما ربط جينيت موضوع الشعرية بتلك الوسائط النصية المبتكرة، هذا النوع من الشعرية، أي شعرية النص الموازي، لم تتأسس إلا في النصف الثاني من عقد الثمانينات من القرن الماضي حيث بدا لجيرار جنيت أنه لا يكفي التساؤل مع ياكبسون عن تلك العناصر الضرورية التي تجعل من ملفوظ لغوي نصا أدبيا بل لا بدمن التساؤل كذلك عن مجموع العناصر التي تجعل من النص كتابا [8] ونظرا لأن أشكال العتبات كثيرة ومتنوعة، فان هذه الدراسة لن تتناول إلا شكلا واحدا المعروف باسم الإهداء

الروائي ولعله في مقدمة النصوص الموازية أو العتبات، والتي تفتح منجما من أسئلة تفتح شهية القارئ، يقدم النص ،ويعلنه ويؤطر المعنى ويوجهه "وقد يعتقد البعض أن الإهداء علامة لغوية لا قيمة لها ولا أهمية لها في فهم النص وتفسيره أو تفكيكه وتركيبه، بل هي اشارة شكلية مجانية أو ثانوية لا علاقة لها بالنص، ولا تخدمه لا من قريب ولا من بعيد بيد أن الشعرية الحديثة (poétique)أعادت الاعتبار لكل المصاحبات النصية أو العتبات المحيطة بالنص التي تشكل ما يسمى بالنص الموازي. وأصبح من الضروري قبل الدخول في النص الوقوف عند عتباته، ومساءلتها بشكل عميق ودقيق " [9]

1- <u>الإهداء لغة</u>:

يقترن الإهداء في اللغة العربية بمعان الهبة والعطاء والتبرع والهدية، جاء في لسان العرب لابن منظور :"أهديت الهدي إلى بيت الله إهداء وعلية هدية أي: بدنة .الليث وغيره: ما يهدى إلى مكة من النعيم وغيره من مال أو متاع، فهو هدي وهدي، والعرب تسمى الإبل هديا، ويقولون: كمهدي بني فلان يعنون الإبل سميت هديا لأنها تهدى إلى البيت " [10]

2- <u>الإهداء اصطلاحا</u>:

يمثل الإهداء Le Dédicaceالفضاء السّردي الممهد الذي يشكل مجموع المساحة الموصلة إلى بؤرة النّص، كما أنه يعد الإشارة الثانية بعد العنوان التي يرسلها المرسل إلى المرسل إليه (القارئ)، يأتي في شكل "تقدير من الكاتب وعرفان يحمله للآخرين سواء كانوا أشخاصا، أو مجموعات (واقعية أو اعتبارية)، وهذا الاحترام يكون إما في شكل مطبوع (موجود أصلا في العمل / الكتاب)، وإما في شكل مكتوب يوقعه الكاتب بخط يده في النسخة " [11]، من هنا تأتي أهمية دراسة الإهداء بوصفه ليس عنصرا منفصلا عن بنية النص المكاني كما يوهم موقعه في بدء الكلام، كما أنه ليس حالة سكونية يمكن عزلها والتعامل معها كما لو كانت بنية زائدة هامشية منغلقة على ذاتها، وإنما هو "أحد المداخل الأولية

لكل قراءة ممكنة للنص"[12] فهو الصيغة أو العبارة التي يضمنها المبدع في مؤلفه يبغي من ورائها الإقرار بالعرفان أو التعبير عن عاطفة ما" وهي عتبة ضاربة بجذور في أعماق التاريخ، يرجعها جيرار جينيت إلى زمن الإمبراطورية الرومانية القديمة، وقد اعتمد على طاقتها التعبيرية الكثير من الكتاب" [13] ولا خلاف على أن لكل إهداء بنيته التركيبية وأبعاده الدلالية ووظائفه الجمالية والتداولية، وفي هذا السياق سنقف وقفة تقويمية متأنية نعنى من خلالها برصد العتبة الإهدائية التي اعتمدها الروائي واسيني الأعرج، من اجل فهم الاشتغال الإهداء الذي ينجزه واسيني وأثره في شعرية هذا النص واقتراحاته الجمالية وإمكاناته على التأويل وممارسة التفكير النقدي وبيان مدى قدرته على نسج خصوصياته من خلال "**مملكة الفراشة**" الصادرة عن دار الآداب للروائي الجزائري "**واسيني الأعرج**" التي حازت على "**جائزة كتارا**" تحت فئة جائزة الدراما للرواية المنشورة، وهي جائزة أفضل رواية قابلة للتحويل إلى عمل درامي من بين الروايات المنشورة الفائزة.

ارتكزت "رواية مملكة الفراشة" في قيامها على الخطاب الإهدائي التالي " **الحرب ليست فقط هي من يخرق حاضرنا ،ولكن أيضا ما يستمر فينا من رماد حتى بعد خمود حرائق الموت .لكل فراشة احترقت أجنحتها الهشة، وهي تحاول أن تحفظ ألوانها، وتبحث عن النور في ظلمة كل يوم تتسع قليلا** " [14]

3- موقع الإهداء:

ورد إهداء رواية مملكة الفراشة في مستهل العمل الأدبي، وبه تصدرت الرواية حيث ورد في الصفحة الثانية التي تلت العنوان ، لذا فهو يحتل مكان المقدمة في شكل تقديم أو تصدير استهلالي يفسر حيثيات النص ويستقصي أبعاده الدلالية والمرجعية، محتويا على مجموعة من العناصر الرئيسية مثل المهدي إليه هذا

الإهداء وسياق الإهداء، وذلك في شكل دوافع ذاتية وموضوعية، فتاريخ البث في التّموضوعات الفضائية للإهداء تكشف "في القرن 16م يتخذ من أعلى الكتاب أو رأسه مكانا له، أما في الوقت الحالي فهو يتموضع في الصفحة الأولى التي تعقب صفحة العنوان مباشرة(15)."

1- **<u>السياق التداولي للإهداء:</u>**

إن الإهداء رسالة نصية موجهة من طرف (أ) نحو طرف (ب) وفق العملية التواصلية -المهدي :هو المرسل الذي توفرت لديه القصدية في بث خطاب الإهداء فهو "من يهدي ومن يقوم بعملية الإهداء" (16).،وتجلى هنا في شخصية الروائي واسيني الأعرج .

- ***المهدى إليه** : هو الطرف الأساسي الذي يستهدفه الإهداء، وقد اتخذ صورة رمزية معنوية في هذا الإهداء*، وهذا عبر الخطاب التالي: **لكل فراشة احترقت أجنحتها الهشة، وهي تحاول أن تحفظ ألوانها، وتبحث عن النور في ظلمة كل يوم تتسع قليلا"**. إن الرواية تعمل على المرموز، بدء بالشخصيات، إلى الخطاب، إذ يلاحظ القارئ أن المهدي إليه المستهدف لا يتم تسميته بأسماء إنسية، وإنما يستعير الروائي من الطبيعة الحية الفراشات كرمز البراءة للوصول إلى المهدي إليه الحقيقي وهو القارئ الذي يتشارك والفراشة في أحلامها وصمودها على البقاء، *في هذا السياق "يمكن التمييز بين نوعين من المهدى إليهم : الخاصون والعامون، وبقصد بالمهدى إليه الخاص شخصية إما معروفة أو غير معروفة لدى العموم والتي يهدى إليها العمل باسم علاقة شخصية ودية، قرابة أو غيرهما .... أما المهدى إليه العام أو العمومي فهو شخصية أكثر أو اقل شهرة والتي يبدي المؤلف نحوها وبواسطة إهدائه علاقة ذات رابط عمومي، ثقافي، فني، سياسي أو غير ذلك على أن الإهداء يمكن أن يخصص للقارئ أي للمتلقي الحقيقي للعمل من غير أن ننسى إهداء المؤلف للمؤلف نفسه، أي الإهداء عند جويس الذي حدد، على أن الإهداء يمكن أن*

يخصص لشخصية متخيل[17] ليتحول الإهداء من صيغة ذاتية إلى صيغة موضوعية تحيل على عوالم الكتابة وحيثياتها التكوينية *و الدلالية*.

.**جماليات التركيب اللغوي**: الإهداء تأليف مخصوص بصيغ وتراكيب تنفرد على نحو من الإثارة الواصلة بين المرسل والمتلقي، حيث يتركب الخطاب الإهدائي من وحدات لغوية لسانية متجاورة مع بعضها لبعض ومتداخلة فيما بينها، لتشكل لنا في الأخير جملة قابلة للتحليل على عدة مستويات، من الناحية التركيبية، تكررت اللازمة الاستهلالية "الحرب " كنقطة بدء غير عادية يما تختزنه من طاقة يمتد ضوؤها إلى بنى النص لتتحوّل هذه اللازمة داخل الإهداء إلى علامة تلازم كل المفردات اللاحقة، داخل البنية الكليّة للنص، كأنها تفتح السبيل إلى ما يتلو، حيث يحتل دال "**الحرب**" بؤرة الإهداء ومنه تتفجر كل الدلالات المقصودة وهي الحرب الأهلية وحرب الثورة المعلوماتية التي وردت صياغة لاستهلال تركيبي اسمي "والجملة الاسمية تتميز بقوة الدلالة من جهة وأنها اشد تمكنا وأخف على الذوق السليم من الدلالة الفعلية" [18]، كما "تدل الجملة الاسمية على الاستقرار والثبوت"[19]، من خلال الإيحاء بذلك السكون والهدوء بتوظيف الاسم بدل الفعل الذي يحيل على حدث وحركة في زمن ما، ولعل ا لنظام الاسمي في نسج لغة هذا الإهداء لا يعدو أن يكون امتدادا لحياة الشخصيات في هذه الرواية بمظاهرها الاجتماعية والثقافية، فالسكون والرتوب والاستقرار كان يحكم حياة شخصيات الرواية بعد، الحرب الصامتة"، وهي التي تلت عشرية الحرب الأهلية في الجزائر، وتتبدى الحرب الصامتة في مظاهر متعددة، اغلبها مرتبط بحالة الخوف والانتظار بطلة الرواية "يامّا" فتاة صيدلانية مثقفة إلى درجة كبيرة، مدمنة على قراءة الروايات، لكنها أصيبت بالإدمان لاحقاً على العالم الافتراضي، وعلى انتظار حبيبها الوهمي" **فاوست** "، ومن هنا جاء عنوان الرواية – مملكة الفراشة، وتحديداً الفيس بوك، وقد تحول هذا العالم الافتراضي إلى أشبه بالمخرج أو المخبأ فإذا هو يسرق العمر ضاحكاً على السنوات، وأحلام الإنسان يمكن أن تتبدد بمجرد اصطدامها بكذبة، تماما كالفراشات كعنصر من عناصر الطبيعة الداعية إلى

الراحة والاطمئنان، التي تسير نحو عالم أحلامها الملون بجناحين هشين ما إن تقيدهما حتى يُخلعا أو يفقدا غبارهما الملون، فإذا فقداه ماتت الأحلام ماتت الفراشات، وما بطلة الرواية إلاّ صورة الذات المنكسرة في مجتمع مأزوم بعد الحرب الأهلية ليدخل في حرب صامتة تبدّت بقوّة في بدايات القرن الحادي والعشرين وما صاحبها من تدمير أخلاقي أو نفسي ممنهج، حيث لا تنطفئ النيران المشتعلة للحرب الأهلية ولكنّها تتخفّى تحت الرماد لتظهر انعكاساتها في الواقع عبر حرب صّامتة الّتي لا أحد يستطيع توصيفها لأنّها من غير ضجيج ولا ملامح، ودلالة اختيار الجملة الاسمية يتجاوز الإطار النصي إلى مظاهر وسنن ثقافية على غرار الالتزام بطقوس وتقاليد ثابتة في معمارية الرواية وفي مقدمتها طقس الإهداء، كتقليد ثقافي ينم، بلا شك عن لباقة أخلاقية إن لم تكن واجبة " الإهداء تقليد عريق عرف على امتداد العصور الأدبية بأشكال مختلفة من أرسطو إلى ألآن...كما نجد في كتب الآداب السلطانية حيث يذكر الاسم صريحا وعادة ما يكون ملكا أو أميرا أو نبيلا أو له من الفضل على الكاتب وكثيرا ما ترعى فيه قواعد المجاملة واللياقة واللباقة "[20] فالإهداء وحسب رؤيا جميل حمداوي " تقليد ثقافي وفني ،يدخل المبدع أو المؤلف بواسطته مع المتلقي أو القارئ، وذلك في علاقة وجدانية حميمة، قوامها التواصل العلائقي البنّاء والهادف إنسانيا، سواء أكان سياسيّا أم اجتماعيّا أم فنيّا أم أدبيّا "[21] يقول عبد الفتاح الحجمري في هذا السياق :"يعتبر الإهداء تقليدا ثقافيا عريقا، ولأهمية وظائفه وتعالقاته النصية فقد حظي أيضا بالدراسة والتحليل "[22] ولقد كان للخطاب الإهدائي في الرواية الجزائرية الأثر البالغ في تكوينها ، وصل إلى حد التماهي بالموضة المنهجية، ومنه تمثلها كُتاب الرواية، وتفاعلوا معها بحكم الفترة التي فرضت عليهم التماشي مع ما القواعد المعروفة، فنما الإبداع الروائي إزاء هذه الإبستيمولوجية، نمواً واسعاً، وهو ما دفعه إلى أن يضفي على الكتابة الإبداعية الكثير من الجديدة قابلية أكثر للمساءلة والمقاربة، ليصبح الإهداء عتبة واجبة التوظيف ومنه فإن "الخطاب الافتتاحي من هذا المنظور، ينأى عن كونه ملحقاً زائداً، أو وقفة مجانية، إنه لوحة وصفية تستضمر إيحاءات خفية تستحدث المتلقي على مقاربتها بعمق، بغية الكشف عما

تحجب منها وما ظهر. وهذا ما يجعل من التركيز على هذه العتبات، تركيزاً على كوى النص المستورة، التي تسمح للمتلقي بالنفاذ عميقاً إلى عوالم النص الداخلية، لأنها تجلي لنا أهمية التفاعل"[23] إلى جانب دلالة الاستقرار والثبوت، تضطلع هذه الجملة الاسمية بدور أخر لا يقل أهمية عن هذه الدلالة وهي التلميح بطريقة بناء الرواية، مع أن الرواية تحاكي الواقع الجزائري في أثناء الحرب الأهلية، إلا أن عتبة الإهداء بتركيبها الاسمي يوحي أنها لن تركز على الأحداث بقدر تركيزها على تأثير تلك الأحداث وتداعياتها في نفوس الشخصيات، ولعل تغييب الفعل يرمز إلى هدوء نسبي تعقبه حركة الحكاية وبالتالي بداية الحكاية، إذ يبرز الجانب النفسي ولا يسير إلى جانب الأحداث بل يحيطها ويتخللها، فلا نجد الإهداء يحوي أفعالا تتناول أحداث الحرب الأهلية كيف بدأت وما الأحداث التي جرت خلال سنواتها العشر، بل تحكي لنا كيف بدت الحالة النفسية لكل شخصية، كيف نمت هذه، وكيف انكسرت تلك. كيف تصارعت، أو خوت فنحن أمام إهداء ينشغل بالجزئيات التي تغوص غوصا عميقا في ذاتية الإنسان ومن أمثلته داخل الرواية :

.تقول البطلة ياما لحبيبها فادي في مقطع آخر:" أنا لا أملك الأسلحة الجبارة التي أقاوم بها خوفي ووحدتي إلا هذه المملكة الزرقاء التي تسمى الفيسبوك، قلت لحبيبي(...) لي فقط وردة من يديك، وقبلة مسروقة في غفلة من القتلة (...) قبل أن يداهمني الموت في مدينة أصبحت توفره بسخاء".[24]

بهذا يمضي الإهداء مثقلاً بالدلالة، يرف في خفة فنيته إلى هدف محدد هو الولوج إلى أغوار النص في رفقة لغة إهدائية مختلفة، تعنى بالغربة والاغتراب، وما يرتبط بهما من قلق الهوية والصراع لتي تعيشها شخصيات ما بعد الحرب الأهلية عبر لغة مجازية، تمنح الإهداء ألقاً شعرياً خاصاً. شاعرية كل نص تتحقق بما تتوفر عليه من طاقات إبداعية، وبما تحدثه من انفعالات، وبما تسهم فيه من شحذ للطاقات التخيلية للمتلقي. إن قارئ إهداء رواية مملكة الفراشة يجدها تنتج معانيها فعلا بطرق متعددة، كالانزياح كسمة لخصوصية اللغة. محاولة لتحميل مفردات اللغة دلالات أوسع من دلالاتها المعجمية، فهو لا يقصد بالفراشة تلك الحشرة الرقيقة

الجميلة بل حياة شخوصها الهشة، كهشاشة الفراشات يقذفها الواقع، في أجواء ضبابية فتحاول الصمود، من هنا فلغة الإهداء هي لغة الكتابة الأدبية "لغة قلقة متحولة متغيرة، متحفرة زئبقية، بحكم تعامل المبدعين معها تعاملا انزياحيا" (25) إن الإهداء: نصّ توالديّ، "شبكيّ"، لا يبدأ من بداية محدّدة، وينتهي عند نقطة محدّدة، إنه نصّ التنامي والانفتاح على توالي النصوص الغائبة، وعلى نصوص القراءة المتعدِّدة، إذ نستطيع من خلال التأمّل فيه اتساق المعنى وجماليته وإيقاعه، ومن ثم الولوج إلى منعرجاته ودقائقه الخفيّة. وبذلك تكتمل الوظيفة التناصّيّة، وخلفيتها الشعرية، في الكشف والتبلور والانفتاح، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على حيوية اهداء واسيني، كما تنبني لغة الإهداء على عنصر التضاد، سمة الوجود، ومادام سمة الوجود فهو أساس التقابل في اللغة وهدا في العناصر التالية(وهكذا يلعب عنصرا المفارقة والتضاد في الإهداء دوراً بارزاً في الكشف عن أزمة الروائي وتمزّقه الوجدانيّ وعدم توافقه مع عالمه الواقع، وذلك عن طريق هذه الثنائيات المتضادة إيجابياً وسلباً "تصطدم اللغة بدلالاتها المتضاربة، فتمد الخطابات بجماليات إضافية عبر التناقض " (26) تبعا لذلك تمتلك الإهداء من مؤهّلات بنائية . على نحو يسهم في سمو قيمتها الفنيّة العالية، لتعكس هموم الفرد الجزائري وقدرتها الفائقة على تجسيد أعمق اللحظات الإنسانية.

سيمياء الإهداء: الإهداء، من الفضاء المقدماتي إلى المرجعية التاريخية.

جعل واسيني الأعرج من إهدائه أيقوناً كبيراً، يحتاج إلي وقفات لقراءة إشاراته، ووسيلة لتحديد بوابة الدخول لعالم النص.

تنتمي رواية مملكة الفراشة -الفائزة بجائزة كتارا العربية لسنة 2015، إلى ذلك النمط من الروايات التي وظفت التاريخ وكتبت به كوسيلة وأداة، دون أن تكون تاريخية في حد ذاتها، في هذا النمط من الزمن تستوحي رواية مملكة الفراشة مرحلة العشرية السوداء، أو الحرب الأهلية الجزائرية في التسعينيات، وهو ما يطلق عليه بنمط السرد المرجعي، أي ذلك السرد الذي يتكئ على أحداث فترة زمنية لها مرجع

معروف في الواقع حيث "تكون الأحداث حقيقية أو مقدمة باعتبارها حقيقية، وتكون قد حدثت بالضرورة في زمن تاريخي سابق للسرد"[27]، لا شك أن الروائي واسيني أنتج في مملكة الفراشة رواية متوترة تدلل على واقع جزائري مرهق، وتشخص ملامحه بقوة في إهداء يفوح بعبق التاريخ تتسرب منه رائحة الواقع عن طريق إفراغ المدلولات من دلالاتها المرجعية وشحنها بدلالات تتلاءم وسياق النص الروائي، ما يعني أنه من أجل نقل خصوصية اللحظة الحضارية والاجتماعية والنفسية للزمن التاريخي المستهدف في الرواية تصبح العتبة الإهدائية على اختزالها تقنية مساعدة لتحقيق معايشة الخصوصيات التاريخية المستهدفة، إن الانصهار بين هذين الخطابين المتخيل والتاريخي في النسيج الإهدائي اللغوي للرواية هو ما يحقق لها هويتها السردية، وملامحها الحداثية وهكذا فقد أحدث الروائيون الجدد قطيعتهم مع الإهداء التشكري، ولم يعودوا يستهلون رواياتهم بعتبات إهدائية ذاتية تستهدف توجيه الشكر لتنطلق فورا من الحدث المركزي، تقذف القارئ وبمنتهى السرعة إلى غمرة الحدث في طور وقوعه، أو لنقل، في معمعة انطلاقها، لتتنوّع الإحالات المرجعية في الإهداء متفاعلة في ما بينها مشكّلة معمارية الإهداء، سيّما جنس الرواية لما تنطوي عليه من إيحاءات دلالية ووظيفية ولما ترشح به من أبعاد فنية ومرجعية. فالنص الروائي ليس كلاّ منجزا تاما مستقرّا مكتفيا بذاته بل هو حوارية وتفاعل وتعالق مع الواقع "إن النسيج الروائي في مرحلة الأزمة قد اجتهد لإيجاد معمارية فنية تتضمن التوازن بين الشكل والمضمون" واحتواء الأزمة والتعبير عن مخاوفها و هواجسها، و على العموم يشترك أغلبها في كشف ملامح وجه الأزمة الخفي، و إماطة اللثام عن كل دقائقها و تقاسيم وجهها" [28].وبهذه العتبة يتضح " إن ما يميز جنس الرواية عموما والعربية خصوصا هو قدرتها على استيعاب أنواع الخطابات واحتواء أنواع تعبيرية ولغوية متنوعة، والانفتاح على مميزات أجناس متعددة واستثمار المتخيل والرمزي واستلهام ما هو واقعي الشيء الذي يجعلها بنية مفتوحة في تطور دائم ومستمر "[29]، على هذا النحو يتعايش كل ما هو تخييلي ومرجعي ضمن بوتقة إهدائية تنصهر فيها الثنائية من دون القدرة على الفصل بينهما" فقد ظهر رعيل جديد يكتب في الرواية التي تعتمد على حقائق

تاريخية، ولكن بصياغة فنية جعلت الدارسين ينظرون اليها بأنها "قصة خيالية خيالا ذاطابع تاريخي عميق "[30]، ذلك أن الرواية تقدمهما عبر عتبة الإهداء ضمن سيرورة اندماجية تسعى إلى تخليق التاريخ، وإعادة قراءته من جهة .

أدرك كاتب الرواية الجزائرية سحر التجريب، فأوغلوا فيه وقدموا للقارئ نصوصا زادتها جمالا طريقة صنع الأحداث خاصة في فترة التسعينات أو ما يسمى بأدب المحنة، حينما استطاع الروائي أن يقترب من الواقع المعيشي بكل فجائعه " عرفت الرواية الجزائرية نتيجة ظاهرة الإرهاب – تحولات هامة على مستوى المضمون والبناء الفني، فنقلت لنا مظاهر العنف، والإرهاب الأعمى الذي حصد أرواح ألاف الجزائريين، كما عبرت عن المأساة الوطنية بصورة فجائعية، وبأدوات فنية متفاوتة من حيث النضج والتطور الفني "[31]، وهكذا اكتسح الإهداء الرواية الجديدة باعتبارها شكلاً من أشكال البحث، تعمل على خلخلة أفق المتلقي وخاصة حينما كسرت القواعد الكلاسيكية، ومن بين التقنيات المستعملة في تجاوز الرواية التقليدية. تقنية الاستهلال التي أصبح يعتمدها الكتاب الجدد لتساعد المتلقي منذ البداية على الأقل للقبض على خيط السرد داخل الرواية، الخطاب الإهدائي عند واسيني له ما يميزه عن غيره من الكتاب، إذ نجده يتحول إلى شروحات محددة لهذه النصوص المصغرة، ليصبح هذا الخطاب عبارة عن حلقة تربط بين النص ومؤلفه، وحتى قارئه، ومنه فإن بنية الاستهلال كخطاب مقدماتي "المعزولة ظاهرياً، الموجودة في بنية محيطه، قد تتبدى لنا بنية تتمتع باستقلال نصي خاص من جهة، كما أنها تشكل في الوقت ذاته عنصراً في بنية أخرى، هي بنية النص الروائي، في شموليته، من جهة ثانية إنها خلق جمالي وثيق الصلة بالمؤلِف والمؤلَف والواقع الخارجي **(الذاتي منه أو الموضوعي)** معاً "[32]. هذه "النصوص المحيطة وغيرها، هي بالنسبة إلى المتلقي "عبارة عن نتوءات نصية أساسية موجِّهة، ومحددة لنوعية تلقي النص، والتعامل معه قراءة وتأويلاً"[33]

إن الثنائية المجسدة في الإهداء عبر خطابي التاريخي والمتخيل والذي تمحورت في قطبي : الفراشات/الحروب الظاهرة والخفية، نجدها تمثل بؤرة النص منها تتفجر كل الدلالات، وتتفرع عنها ثنائيات أخرى: ظلام/نور، حياة / موت، الانفتاح /الانغلاق، ومن الثنائية الأصل يتم تأطير سير الأحداث، إذ نجد الأحداث تتحرك على منحيين متضادين يحاول كل واحد منهما الوقوف في وجه الآخر وتغييبه، ومباغتته، وتقويضه. ويصبح الحرب عنصرا من عناصر الموت، ليوجة واسيني إهداءه لكل شخصية تسعى إلى المقاومة وتكافح *من أجل بقائها*

حيث ينفصل الإهداء دلاليا وفق مربع سيميائي (carré sémiotique) "يعتبر كمثال أصولي لمشكلة المعنى"[34] فالمربع جهاز منطقي يحوي مجموعة من العلاقات المضمرة التي تحرك النص فعلاً على المستوى الظاهري والباطني وبتعبير آخر فإن الأمر يتعلق بإمكانية الإمساك بالفكرة التي يحاول أن يعبر عنها النص حيث أن المربع " شكل رسمي لتضمين المضامين على محور القيم النقيضة"[35] ولعل ابرز تمفصل دلالي أنبنى عليه اهداء واسيني هو مقولة (موت - حياة)إذ يمكن تجسيد هذه القطبية كثنائية هيكلت هندسة المعنى ما يجعل بين وحداته " جهازاً يمكن من خلاله أن نؤكد نصاً أو أن يكون إعادة لقراءة ممكنة"[1]وقد اتخذ التشاكلان الدلاليان اللذان ينبأن عن مضمون الاهداء وفق المربع السيميائي التالي:

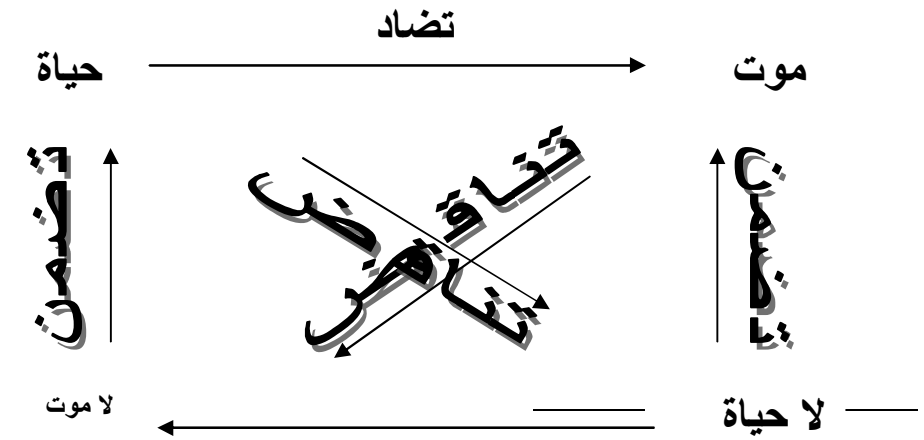

.

ليصبح هذا النص المصغر له معطيات خاصة به تعمل على إزاحة بعض النصوص من الوجهة الدلالية، كوسيط إجرائي فعال في توجيه القارئ نحو أفق التوقع والتأويل من جهة، وهو ما يشجع المتلقي على إنتاج اللغة الواصفة ضمن سلسة من الخطابات المحفزة على توليد أكثر من دلالة، "إن التخييل المقدماتي ككتابة مثمرة أدى إلى تغريب القارئ المتعود على استهلال الخطاب المباشر لأن التعبير الذي خضعت له البنية الخطابية المقدماتية يجعل العلاقة بينها وبين الرواية غير محددة الشيء الذي يؤدي إلى زعزعة القارئ من موقعه كمستهلك إلى قارئ فاعل مشارك بهذا المعنى، يصبح الإهداء الروائي ملاذا للتاريخ، وفي مدى استعداده لبناء أفق روائي مغاير ومختلف. وعليه لم تعد الرواية عملا أدبياً فحسب، لما تنطوي عليه من جمالية، وإنما هي أنساق من المضمرات يجري تشييدها على مرأى من التاريخ، من هنا أن الإهداء الواسيني ، في كثافته وتركيبه، وإسهابه السردي، يتقدم إلى قارئه بوصفه تنويعا على منجز اهدائي خاص، كسر حدوسه الرؤيوية الأولى، في تفاصيل السرد الموضوعاتي المتصل بالمسار الحياتي وبذاكرة المجتمع والناس، وباللغة الحاضنة لحيثيات الواقع ..[36]"

وفي الأخير توصلنا إلى تسجيل النتائج التالية :

- الإهداء ليس بالعتبة الزائدة في الرواية الواسينية بل يتحول إلى أهم المصاحبات النصية التي تسعفنا في فهم النص وتأويله وبناء كيان لغوي ومعرفي ينفتح على العلاقات الداخلية للنص من جهة، وعلى فاعلية التلقي من جهة ثانية، من هنا فإن الاهتمام بدراسة الإهداء إضافة نوعية في حقل الدراسات النصية، أين يصبح الاهتمام بالشكل شيء ضروري كقيمة مضافة من شأنها أن تضفي دلالات إضافية على النص، باعتبار هذه العتبات أصبحت تنتج خطاباً واصفاً، وجديداً يسهم

بشكل كبير في فك بعض الشفرات التي تعترض القارئ، خاصة أن الإهداء ينطوي على إبدالات جديدة في القراءة والتأويل، في أفق تشكيل هوية سردية قادرة على رد الاعتبار للرواية الجزائرية في، كل تحققاتها وتجلياتها، والمؤكد أن الحفر في عتبة الإهداء هو حفر في خصوصية الرواية الجزائرية.

- إن مغامرة البحث في فضاء العتبة الإهدائية وخصوصية حضورها في أعمال واسيني الأعرج، كشفت لنا تغلغل التاريخ، فالإهداء من أهم العتبات التي يتمظهر فيها التاريخ، ومن هنا تتجدد الأسئلة وتنكشف الأسرار، بعدما اتخذت عتبة الاهداء التاريخ عجينة ومادة شكلت منها خطابا استهلاليا .

- إهداء النص الروائي الجزائري الجديد لوحدات أيقونية ولغوية واشارية، تحاور أفق انتظار القارئ تثير اشتهائه لقراءة النص الروائي، بل وتحرك فضوله وتدفعه بقوة لمعرفة تفاصيل أكثر تخص النص.

الهوامش :

1- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 2000، ص، 21

2-محمد بنيس :الشعر العربي الحدب ،بنياته وابدالتها الفنية ،التقليدية ،ط1،دار توبقال ،الدار البيضاء بيروت ،1989 ،ص 54.

3- محمد الهادي المطوي، في التعالي النصي والمتعاليات النصية، المجلة العربية للثقافة، ع 32 تونس،1997، ص 196

4-عبد الحق بلعابد :عتبات ج جينيت من النص الى المناص ،تقديم سعيد يقطين، ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، بيروت،لبنان،2008 ،ص.44

5- المرجع نفسه ص 14

6- عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، ط1، شركة الرابطة، ، 1996م، ص7.

7-كمال بن عطية : سؤال العتبات في الخطاب الروائي. دراسة في منظومة العنوان للروائي المؤسس عبد الحميد بن هدوقة، ط1 ،دار الأوراسية، الجزائر، ، 2008، ص 11.

8- ينظر نبيل منصر :الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ،دار توبقال المغرب ،2007 ،25.

9- جميل حمداوي :عتبة الإهداء ،منبر حر للثقافة والفكر والادب ،2012 الموقع الالكتروني http://www.diwanalarab.com/sip.phparticle34281

10- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 15، دار صادر ، بيروت 1414ه، ص359 .

11- عبد الحق بلعابد :عتبات ج جينيت من النص الى المناص ،تقديم سعيد يقطين، ص 93

12- نبيل منصر :الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ،ص 47.

13-ينظر حسن محمد حماد: تداخل الأنواع في النصوص العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص .64

14- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة،ط1،دار الصدى ،دبي ،2013 ،ص 6".

"15- عبد الحق بلعابد :عتبات ج جينيت من النص الى المناص ،تقديم سعيد يقطين، ص 95

16- عبد الحق بلعابد :عتبات ج جينيت من النص الى المناص ،تقديم سعيد يقطين، ص 96

17- عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، ص ،27.26

18 - محمد عويس: العنوان في الأدب العربي ، ط 1 ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1987 ، ص27 .

1. 19- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها و أقسامها ، ط 2 ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، 2007 ،ص .162

20- عبد الحق بلعابد :عتبات ج جينيت من النص الى المناص ،تقديم سعيد يقطين، ص 94".

21 -جميل حمداوي :عتبة الاهداء ،منبر حر للثقافة والفكر والادب

22- الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، ص ،26.

23- عبد المالك أشهبون :الحساسية الجديدة في الرواية العربية (روايات إدوار الخراط نموذجاً)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر ، 2010، ص.117.

24 **واسيني الأعرج:مملكة الفراشة،ص 24،25.**

25-عبد الملك مرتاض :في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ،عالم المعرفة ،ص 108 ،الكويت ،1986.

26- عبد القادر بن سالم :مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث ، اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2001،ص ،49

27- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد على للنشر، تونس، ط1، 2010، ص230-231

28- عبد اللطيف حني: الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة، أنظر المقالة على الموقعhttp://dr-cheikha.blogspot.com

29- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، ص 3

30- مصطفى قاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص 84.

31-عبد الحميد هيمة :المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية ، قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية الجديدة ، مجلة العلوم الإنسانية ،ع 29،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،فيفري 2013،ص 223.

32- عبد المالك أشهبون : الحساسية الجديدة في الرواية العربية (روايات إدوار الخراط نموذجاً)، ص.121.

33- المرجع نفسه، ص. 124.

34- شاكر، سمير المرزوقي: مدخل إلى نظرية القصة، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا ، د ط ، الدار التونسية للنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د ت ، ص123.

35 "une forme protocolaire d'organisation des contenus axiologiques contradictoires" A.G Grimas sémantique structurale, presses Universitaires de France ,1986.p212.